المحاضرة رقم 11: الهوية والجماعات الإفتراضية.

اهداف المحاضرة:
- التعرف على مفهوم الهوية الافتراضية.
- التعرف على آليات البناء الهوياتي عبر مواقع التواصل الاجتماعي.
- التعرف على مفهوم الجماعة الافتراضية.
- التعرف على خصائص التفاعلات الافتراضية.

2. 3.2. الهوية الافتراضية.

يقصد بالهوية الافتراضية مجموعة المعلومات الشخصية التي تكون الذات الافتراضية، حيث يقوم الأفراد المشكلون للمجتمعات الافتراضية ببناء هوية افتراضية الكترونية خاصة تكون في بعض الأحيان مطابقة للواقع وفي أحيان كثيرة مزيفة ومستعارة.

3. مواقع التواصل الاجتماعي والبناء الهوياتي الافتراضي.

نظرا لغياب الوجود أو الحضور فإنه في كثير من الأحيان ما يقوم الأفراد يتقمص هويات مختلفة. يطلق بعض علماء النفس على العوالم الافتراضية ومن بينها شبكات التواصل الإجتماعي اسم "ورشات الهوية" حيث يمكن للفرد أن يتمثل كيفما يشاء أي هوية يريد و هذه التمثيلات بدورها تهيئه لاستكشاف إمكاناته السيكولوجية، وقد يصل الأمر حتى إلى إعادة تحديد هوية الفرد كما أن سياق البيئة النصية الافتراضية ينزع الستار عن بعض أشكال التفاعل الاجتماعي التي لا نلاحظها في حياتنا اليومية بسهولة لأننا لا نستطيع أن نتصور وضعية الآخر ويصعب أيضا الإدعاء بكوننا الآخر.

1.3. مواقع التواصل الإجتماعي والهوية الإفتراضية.

إن إمكانية اصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغبات المستخدمين في التعدد الهوياتي إنما هو ناتج عن خصائص شبكات التواصل الإجتماعي كفضاءات إفتراضية، فضاءات لا تحكمها مرجعية التموقع بالمعنى الفيزيائي و تمكن الأفراد من تجاوز إكراهات الحضور الجسدي والتحاور دون أن يكشفوا هوياتهم الحقيقية، تتميز الفضاءات الحوارية عبى مواقع التواصل الإجتماعي التي تتيحها الانترنت بشكل الرسائل التي يتم تبادلها (مكتوبة، إشارية، صورية وأيقونية) وبالطبيعة التزامنية أو غير التزامنية، كما تتميز الهوية الافتراضية بعدم حضور المجموعة الانتمائية وبالتالي لا يمكنها كبح الفرد أو فرض قيود عليه أو مراقبته خلال استعارته وتجريبه للذوات المختلفة فالانترناتي يمكن له أن يستعير ويجرب ما يشاء من الذوات دون أن يتعرض للعقاب، بل الأمر يذهب أبعد من ذلك فالذوات التي يتقمصها في الفضاء الأنترناتي هي في أغلب الأحيان وخلافا لتلك التي تتشكل منه ذاته متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن تقوم بها في الحياة الفعلية، هنا يمكن أن نفترض أن حرص الأفراد على أداء هذه الأدوار الافتراضية في الفضاء الأنترناتي راجع إلى عدم قدرتهم على القيام بها في الحياة العملية، وإذا ما أردنا معرفة حقيقة هذه الذوات الافتراضية

فسنجد أنها لم تخلق من فراغ، إن الأمر يتعلق في غالب الأحيان بذوات تسعى إلى تحقيق رغبات وتطلعات أقصتها الحياة الفعلية ومنعتها من التحقق، وعليه يمكن قراءة استعارة الذوات وبالتوازي كإعادة تخليق ذلك أن الأنترناتي يصبح مستحدثا لجزء منه لا يوجد إلا في خيالاته وكفسحة بالمعنى المدرسي للكلمة، حيث يستطيع الأنترناني أن يتملص ولو للحظات من ضوابط الصف بمعنى المجتمع والقيام بدور يراه مناسبا له.

إن هذا التمازج بين الذوات الافتراضية والذوات الفعلية له انعكاساته على طبيعة الهوية الفردية، إذ من المؤك أن عملية التكوين والاستحواذ على مجموعة من الذوات الافتراضية سيساعد الفرد على تعميق ذاته حتى لو

اقترن ذلك باتساع فضاء ظهور هذه الذات، وإذا كانت الهوية الشخصية تستمد معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين، فإن الهوية الاجتماعية ترتبط بانتماء الفرد إلى مجموعات سوسيوثقافية وأوضاع اجتماعية وتفرعات إيديولوجية، إن الأمر يختلف كليا على الانترنت على اعتبار أن الذوات الاجتماعية يمكن أن تصبح غير محددة المعالم نهائيا. **يقصد بالهوية الافتراضية مجموعة المعلومات الشخصية التي تكون الذات الافتراضية، حيث يقوم الأفراد المشكلون للمجتمعات الافتراضية ببناء هوية افتراضية الكترونية خاصة تكون في بعض الأحيان مطابقة للواقع وفي أحيان كثيرة مزيفة ومستعارة.**

2.3. الجماعة الافتراضية.

إذا كانت العوالم الافتراضية وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، تشجع إظهار الواجهة الخفية والحقيقية للهوية، فهي أيضا تفسح المجال للفرد بأن يضع هويته موضع استكشاف وتجريب، وذلك بأن يلعب دورا معينا مع كل علاقة، أي بإمكانه أن يقدم نفسه على النحو الذي يريده وهو السلوك الذي يتعذر عليه القيام به في حياته الواقعية.

إن الخوض في بيئة افتراضية يذهب بخيال الإنسان إلى أبعد الحدود ويهيئه إلى توظيف أقصى لمخيلته التي قد يتجمد نشاطها أحيانا في مواجهة واقع افتراضي. لقد أبعدت الحدود التي ترسم العالم الحقيقي إلى درجة تعطي الإحساس بالضياع، وتغرقنا عن طريق الرؤية والإشارة في بيئة افتراضية تعدل إدراكنا للعالم وتقلب معالمنا الراسخة، ويعتقد أن العالم الافتراضي وثراؤه بالعلاقات بين الأفراد يحقق توازنا لدى الفرد الذي تقلص فيه احتكاكه بالآخرين خلال حياته اليومية.

إن الجماعة الافتراضية تتشكل كمجال ينتمي إليه مجموعة من الأشخاص على شبكة الإنترنت وتتقاسم اهتمامات مشتركة ولكن هؤلاء الأشخاص يبعدون عن بعضهم البعض ماديا وقد لا يلتقون في الواقع أبدا، توجد أربعة عوامل يمكنها أن تلعب دورا هاما في تطور أية علاقة، وقد لخصتها إيزابال رونوizabelle renaud في تأثير الجوار، ذلك أنه كلما اقترب شخص منا ماديا زادت الفرصة في الانجذاب نحوه وإقامة روابط صداقة معه إلا أن هذا البعد غائب في العوالم الافتراضية إذ تتسم العلاقات

بانعدام الحضور الفيزيائي فالعلاقات تتشكل عن بعد ودون تقابل عبر وسائط أجهزة وتقنيات الاتصال التي توفرها شبكة الانترنت إن هذه التبادلات تحدث ضمن ما يسمى بالحدود الخيالية للثقافة الافتراضية وما تحمله من عوالم ثقافية مشتركة لخصها بيار هارفي pierre harvey كقانون قاعدي جديد لتنظيم العلاقات الافتراضية بين الجماعات والمتمثل في الحوار الوجداني الإدراكي، أما العامل الثاني فيتمثل في المظهر الفيزيائي، فالميزة الأساسية لشبكة الانترنت هو تهديمها للحواجز الفيزيائية فالجسد قد ترك مكانه للفكر، إن الفرد الذي يعاني عزلة اجتماعية أو كبت لإنتظارات معينة، يمكنه المشاركة بنشاط أكبر على مستوى الجماعات الافتراضية شريطة عدم الوقوع في التناقضات أثناء عملية التبادل، وذلك بالحرص على أعلى درجات التناغم بين المستوى اللغوي المستخدم في التبادل والمستوى التعليمي، وعدم التنافر بين الرأسمال الثقافي الذي يتم توظيفه والسن الذي أعلنته الهوية الافتراضية، ذلك أن أي ممارسة مرتبكة أو تفتقد للتناغم تكون نتيجتها انكشاف الهوية وفقدانها لمصداقيتها، وهو ما يشكل أحد الاكراهات التي تعيشها الهوية الافتراضية في فضاء الانترنت.

تمنح الجماعات الافتراضية المنتمي إليها معالم تدفع بهم إلى تثمين ذواتهم وطمأنتهم، فالفرد الذي يعاني من التهميش الاجتماعي إن لم يكن انعدامه يجد في هذه الجماعات نظراء له يقاسمهم نفس الرغبات والتطلعات، فالتقاسم فيها يقوم منذ البدء على الحميميات المشتركة باعتبارها تمثل جوهر اللقاء والتبادل كما أن الفرد يشعر فيها بالتماهي مع المجموعة والانصهار فيها إن هذا الانتماء يكافئه بمنحه هوية تشاركية لفظية تعطيه الانطباع بفائدته بمعنى أن إحساس الفرد بوجود قبيلة ينتمي إليها يشجعه على تحمل وجوده في العالم الواقعي. تتيح الجماعة للفرد أن يبتدع لنفسه أهمية ومكانة ويتجاوز عزلته، وإذا كانت هذه الآلية تبدو عادية ضمن الممارسة اليومية الفعلية فإنه يتم تغطيتها عندما تنتقل إلى فضاء الجماعة التي تقاسمه هذا الشغف وضمن هذه السياقات تصبح أكثر الأفكار غرابة ضمن حدود الممكن فقط بسبب إمكانية تقاسمها مع الآخرين.

انطلاقا من واقع التفاعلات الافتراضية، التي لا ترتبط ببنية أو هوية محددة كونها تتم من خلال وسيط الكتروني، يمكن تقديم مجموعة من السمات التي تميز هذا النوع من التفاعل:

- التفكك: إن ابتكار الواقع الافتراضي وعوالمه الالكترونية أدى إلى تفكيك العلاقات الفيزيائية بين الأفراد مثلما أدى تشكل الفضاء الرمزي إلى تفكك العلاقات الفيزيقية بين الأفراد.
- التمرد: لقد فتح الفضاء الرقمي مجالا جديدا للتمرد والحركات الثورية والتحررية، يستطيع الفرد أن يقول ما يريد خارج الضوابط التقليدية للمجتمعات وخاصة في المجتمعات السلطوية، لقد فتحت الانترنت مجالا جديدا للتفاعلات مجال يقوم على الحرية والخروج عن سيطرة الأنظمة السياسية.

- الإخفاء: إن العلاقات الاجتماعية الافتراضية في معظمها تجمعات خفية مجهولة الهوية، إن الفرد الذي ينخرط في هذه التفاعلات له الحق في إخفاء هويته الحقيقية.
- الانقطاع: إن المتأمل في حقيقة التجمعات الافتراضية- على تشكلاتها المختلفة - يدرك أن هذه العلاقات والانخراط المستمر فيها يؤدي إلى قطيعة على المستوى الاجتماعي.
- تعدد الفضاءات وإلغاء الزمن: تتسم التفاعلات الاجتماعية على المستوى الافتراضي بتعددية المراكز وتبادلها، حيث أن هذه العلاقات لا مركز لها، كلها علاقات تخرج عن سياقات السيطرة، فمن داخل المنتديات أو غرف المحادثات لا توجد سلطة مركزية توجه الحديث، كل فرد يستطيع أن يكون مركز الجماعة. إن هذا النمط من التفاعلات لا يحتكرها شخصا يهيمن عليها.